٣٧ ـ كتاب: الجزية [١]

١ ـ باب: إظهار دين النبي على الأديان كلها من كتاب الجزية

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: قال الله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [٢] وروي مسنداً أن النبي ﷺ قال: «**إذا هلك كسرى، فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر، فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده، لتنفقن كنوزهما في سبيل الله**» [٣]. **قال**: ولما أتى كتاب النبي ﷺ إلى كسرى مزقه، فقال ﷺ: «**يمزق ملكه**» [٤]. قال: وحفظنا أن قيصر أكرم كتابه، ووضعه في مسك، فقال ﷺ: «**يثبت ملكه**» [٥].

قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: ووعد رسول الله ﷺ الناس فتح فارس، والشام، فأغزى أبو بكر الشام على ثقة من فتحها، لقول النبي ﷺ، ففتح بعضها، وتم فتحها في زمن عمر، وفتح عمر رضي الله

---

(١) روضة الطالبين: ١٠/ ٢٩٧، حاشية الجمل: ٥/ ٢١١، التنبيه: ص ١٣٧، حاشية الشرقاوي: ٢/ ٤٠٨، حاشية الباجوري: ٢/ ٤٦٢، غاية البيان: ص ٣٠٩، فتح الوهاب: ٢/ ١٧٨، الإقناع: ٢/ ٢٢٢، حاشية بجيرمي: ٤/ ٢٣٠، السراج الوهاج: ص ٥٤٩، كفاية الأخيار: ٢/ ١٣٣، حاشية الشرواني: ٩/ ٢٧٤، حاشية العبادي: ٩/ ٢٧٤، إعانة الطالبين: ٤/ ٢٠٤٧، المهذب: ٢/ ٢٥٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣٣.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب: فرض الخمس، باب: قول النبي ﷺ «أحلت لكم الغنائم» (الحديث: ٣١٢١)، وأخرجه أيضاً في كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام (الحديث: ٣٦١٩)، وأخرجه مسلم في كتاب: الفتن، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل (الحديث: ٧٢٥٩)، وأخرجه الترمذي في كتاب: الفتن، باب: ما جاء إذا ذهب كسرى (الحديث: ٢٢١٦)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: ٢/ ٢٣٣)، وأخرجه البيهقي في كتاب: السير، باب: إظهار دين النبي ﷺ (الحديث: ٩/ ١٧٧)، وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (الحديث: ٢/ ٢٣٤)، و(الحديث: ٢/ ٢٣٥)، وأخرجه البغوي في «شرح السنة» (الحديث: ١٣/ ٣٠٩)، وذكره أبو نعيم في «تاريخ أصفهان» (الحديث: ١/ ١٨٧)، وذكره الساعاتي في «بدائع المنن» (الحديث: ١٨١٨)، وذكره الطحاوي في «مشكل الآثار» (الحديث: ١/ ٢١٣)، وذكره الهندي في «كنز العمال» (الحديث: ٣١٧٦٥)، و(الحديث: ٣١٨٠٢)، وذكره ابن عساكر في «تهذيب تاريخ دمشق» (الحديث: ٧/ ٣١٣)

(٤) أخرجه البخاري في كتاب: الجهاد، باب: دعوة اليهود والنصارى (الحديث: ٢٩٣٩)، وأخرجه أيضاً في كتاب: أخبار الآحاد، باب: ما كان يبعث النبي ﷺ من الأمراء والرسل واحداً بعد واحد (الحديث: ٧٢٦٤)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: ١/ ٢٤٣)، و(الحديث: ١/ ٣٠٥)، وأخرجه البيهقي في كتاب: السير، باب: إظهار دين النبي ﷺ (الحديث: ٩/ ١٧٧)

(٥) أخرجه البيهقي في كتاب: السير، باب: إظهار دين النبي ﷺ (الحديث: ٩/ ١٧٧)، وأخرجه البغوي في «شرح السنة» (الحديث: ١٣/ ٣١٠)، وذكره البيهقي في «دلائل النبوة» (الحديث: ٦/ ٣٢٥)

عنه بالعراق وفارس.

قال الشافعي رحمه الله: فقد أظهر الله دين نبيه ﷺ على سائر الأديان، بأن أبان لكل من تبعه، أنه الحق، وما خالفه من الأديان فباطل، وأظهره بأن جماع الشرك دينان، دين أهل الكتاب، ودين أميين. فقهر النبي ﷺ الأميين، حتى دانوا بالإسلام طوعاً وكرهاً، وقتل من أهل الكتاب، وسبى، حتى دان بعضهم بالإسلام، وأعطى بعض الجزية صاغرين، وجرى عليهم حكمه ﷺ، قال: فهذا ظهوره على الدين كله، قال ويقال: ويظهر دينه على سائر الأديان، حتى لا يدان لله، إلا به، وذلك متى شاء الله. **قال**: وكانت قريش تنتاب الشام انتياباً كثيراً، وكان كثير من معاشهم منه، وتأتي العراق، فلما دخلت في الإسلام، وذكرت للنبي ﷺ خوفها من انقطاع معاشها، بالتجارة من الشام والعراق، إذا فارقت الكفر، ودخلت في الإسلام مع خلاف ملك الشام والعراق لأهل الإسلام، فقال ﷺ: «**إذا هلك كسرى، فلا كسرى بعده**» [1] فلم يكن بأرض العراق كسرى ثبت له أمر بعده، وقال: «**إذا هلك قيصر، فلا قيصر بعده**» [2] فلم يكن بأرض الشام قيصر بعده... وأجابهم عليه الصلاة والسلام على نحو ما قالوا، وكان كما قال عليه السلام، وقطع الله الأكاسرة عن العراق، وفارس، وقيصر، ومن قام بعده بالشام. وقال في قيصر: يثبت ملكه، فثبت له ملكه ببلاد الروم إلى اليوم، وتنحى ملكه عن الشام، وكل هذا متفق، يصدق بعضه بعضاً.

---

(١) تقدم تخريجه سابقاً

(٢) أخرجه البخاري في كتاب: الأيمان والنذور، باب: كيف كان يمين النبي ﷺ (الحديث: ٦٦٢٩)، وأخرجه مسلم في كتاب: الفتن، باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل (الحديث: ٧٢٥٦)، وأخرجه الترمذي في كتاب: الفتن، باب: ما جاء إذا ذهب كسرى (الحديث: ٢٢١٦)، وأخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (الحديث: ٥/ ٩٩)، وأخرجه البيهقي في كتاب: السير، باب: إظهار دين النبي ﷺ (الحديث: ٩/ ١٨١)، وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (الحديث: ٢/ ٢٣٥. وذكره الطبراني في «تفسيره» (الحديث: ١/ ٣٥)، وذكره البيهقي في «دلائل النبوة» (الحديث: ٤/ ٣٩٣)، وذكره الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (الحديث: ٥/ ٣٦)، وذكره ابن عساكر في «تهذيب تاريخ دمشق» (الحديث: ٧/ ٣١٣)، وذكره الحميدي في «مسنده» (الحديث: ١٠٩٤)